ناب الام

كل صباح هو نفس الشيء. أستيقظ، أستحم، أستعد للمدرسة. أخرج أمي من خزانة الملابس وأضعها على طاولة الزينة، حتى تستمتع بقليل من أشعة الشمس بعد الظهر. تخبرني أنني لا ينبغي أن أزعج نفسي، لكنني أعتقد أنها تستمتع بذلك، سرًا؛ في تلك المناسبات التي أنسى فيها، تكون خاملة لبقية اليوم، أكثر حدة من المعتاد. مثل نبات محروم من ضوء الشمس.

كانت أمي تفضل ألا أذهب إلى المدرسة. إنها تخشى أن أقابل فتى وأتخلى عنها. أخبرها أنني لا أهتم بالفتيان، وهذا صحيح؛ وأنني أذهب إلى مدرسة للبنات فقط، وهذا كذب، لكنها لم تطلب مني أبدًا إثباتًا، وبما أنني لم أذكر الأولاد أبدًا، أعتقد أنها تصدقني.

المدرسة هي المكان الوحيد الذي يُسمح لي بالتواجد فيه، بخلاف المنزل.

تقيمني أمي قبل أن أغادر. أشعر بتدقيق نظراتها الزجاجية السوداء. السلك المشدود لعبوسها؛ "صرير بطيء لفكها المرن ينفتح، لكي تتمكن من التعبير عن حكمها بشكل أفضل.

شعرك في حالة فوضى، هيلين.

"أعلم، أمي. لقد نفد مني البلسم."

يدور عقلها. تحسب آخر مرة تم فيها توصيل المشتريات. تتابع كل الأرقام. الإيصالات، المخزنة في درج، قديمة ومصفرة، مثل أسنان الأطفال.

سيكون من الأرخص أن تقص شعرك قصيرًا.

تطالب أحيانًا. عندما تعتقد أن تنانير المدرسة قصيرة جدًا، أو أن ملابسي أصبحت رثة. تقول أمي إنني يجب أن أكون متواضعة، ولكن أنيقة؛ نظيفة، ولكن ليست براقة. من المهم جدًا ألا أخجل من نفسي.

"أقرب مصفف شعر في المدينة"، أقول. "يجب أن أستقل الحافلة."

هذا يجعل أمي تتوقف للحظة. ليس لديها فكرة كبيرة عن العالم خارج المنزل، باستثناء أن المدينة خارج نطاق نفوذها. هذا لا

يطاق بالنسبة لها. إنها تصدر أصواتًا خشخشة ونقرات، مثل صوت الصراصير؛ وتميل رأسها، بحركة حادة ومتشنجة.

اربطي شعرك على شكل ضفيرة. سنطلب التسوق عندما تصلين إلى المنزل.

"نعم، أمي."

إذا استخدمتِ كمية أقل، فسوف تدوم لفترة أطول.

"نعم، أمي."

إن الاحتفاظ بك يكلف الكثير، هيلين.

"أعلم، أمي."

تعود إلى الهدوء مرة أخرى. لقد أرهقها هذا النشاط القصير؛ ترهل هيكلها، وثقل رأسها، الذي يحمله عاليًا على فقرات هشة. إنها تتقدم في السن الآن.

أغير وضعها برفق. تكون الشمس منخفضة في الخريف، وليست قوية تمامًا. بعد تفكير، أفتح النافذة، مما يسمح لنسيم بارد بالتسلل. غرفة أمي دافئة وخانقة. ألواح الأرضية سميكة بالغبار، تزعجها وأنا أمر بها؛ "أدور بأناقة في أعقاب مروري، وألتقط شعاع الشمس الرقيق موكبًا من الراقصين الصغار يغرقون ببطء

على الأرض. هذه هي الغرفة الوحيدة التي لن تسمح لي بتنظيفها.

أتوقف عند الباب.

"ألانا تحب شعري،" همست بصوت منخفض، حتى لو كانت مستيقظة، فلن تسمع كلمة واحدة.

أفعل كما تأمرني على أي حال.

في المدرسة، سمحت لألانا بسحب الرباط المطاطي من شعري. جلسنا بالخارج على العشب، في الشمس؛ كانت تمرر أصابعها خلال الضفيرة، ثم تفكها ببطء. كانت تمشط شعري بيديها، حتى ينتشر فوق كتفي. كنت أرتجف قليلاً تحت انتباه آلانا الدقيق. كانت نسيمًا مسائيًا باردًا، تحرك الشعيرات الصغيرة في مؤخرة رقبتي. لم يلمسني أحد كثيرًا قبل آلانا. ولم يتحدث إلي أحد أيضًا.

"حسنًا،" قالت وهي تميل رأسها موافقة. "هذا أفضل كثيرًا".

"لقد نفد البلسم"، تمتمت. اعتذارًا، لأن يديها الناعمتين يجب أن تتعرضا لشعري الصوفي السلكي، لكنها ابتسمت فقط، متكئة على راحتيها، بحيث يواجه الجزء الداخلي من مرفقيها الشمس؛ الأكمام ملفوفة، تلك الأجزاء المحرومة من الضوء أفتح قليلاً من الباقي.

"شعرك مثل شعر حورية البحر"، قالت. ثم، بعد أن فكرت بشكل أفضل: "لا. "شعرك مثل شعر الساموديفا. كله بري وذهبي."

أقطف الهندباء واحدة تلو الأخرى. أرتبها بعناية على العشب. شكلها يشبه النجمة. "تريدني أمي أن أقطعها كلها"، أقول لها. سرت في داخلي رعشة صغيرة بسبب هذا التجاوز. لا يُفترض بي أن أتحدث عن أمي خارج المنزل، ناهيك عن انتقاد نواياها. لكنها لا تستطيع أن تسمعني هنا. لا تستطيع أن ترى الطريقة التي أبتسم بها عندما تضفر آلانا الأقحوان في شعري، وتطعمني بيديها قطع غداءها. لا تستطيع أن تسمع الضحك المذنب الذي يتدفق من شفتي عندما تقول آلانا إن أمي تبدو مثل ساحرة عجوز بائسة.

"تقول بعض القصص أن قوة الساموديفا تكمن في شعرها." تخطف آلانا زهرة هندباء من الكومة، وتمزقها بشكل منهجي. تتناثر بتلات ذهبية رقيقة على كحلي تنورتها، وساقيها المكشوفتين. تلتقط الشعر الناعم. "إذا قطعتها، فهي عاجزة." تبتسم. هناك شقاوة في تلك العيون الداكنة. "ربما تخاف منك والدتك."

"ربما،" أقول، حريصة على إبعاد الشك عن صوتي. ليس الأمر أنني لا أعتقد أن والدتي تفهم الخوف. إنها تخاف من أشياء كثيرة. الخارج. الناس الذين ليسوا مثلنا. الاكتشاف، والهجر. إنها تخشى أن أرحل ذات يوم، ولا أعود أبدًا.

"لا تقطعيه،" تقول آلانا. تزحف إلى جواري؛ تغبر شعري ببتلات الهندباء، خيوط ذهبية لامعة، ويصرخ شخص ما عبر الملعب "سحاقيات لعنة!" لكنها تتجاهلهم، وتعبث بالمكان، وتشتت البتلات حتى تصبح على ذوقها تمامًا. "لا تقطعيه أبدًا. اتركيه طويلًا حتى ينسدل خلفك. مثل حجاب الزفاف."

أضحك من ذلك. "لكنه سيتسخ. سألتقط الأوراق فيه."

"مثل حورية الغابة."

"لن تسمح لي أمي بذلك أبدًا." أحاكي صوتها. صوت أوراق الشجر الجافة، والأغصان المكسورة تحت الأقدام: "يسأل الناس عن الأطفال الأشعثين. من المهم جدًا أن تكوني أنيقة."

تصرخ آلانا. "لا يمكن أن تبدو هكذا."

لا، أعتقد ذلك. لا تستطيع حلقي أن يصدر الأصوات التي يصدرها حلقي؛ فهو ممتلئ جدًا، وناعم جدًا. يبدو صوتها مثل الأسلاك المكسورة، أو الكمان غير المضبوط، أو الصدأ والصرير. يبدو صوتها مثل ألواح الأرضية القديمة في منزل فارغ، أو صوت الأقدام الخفيفة. لا شيء من هذه المقارنات دقيق.

أشعر بذقن آلانا على كتفي.

"أنت في السابعة عشرة تقريبًا، هيلينا." أدس زهرة الأقحوان خلف أذني. "يمكنك أن تتخذي خياراتك بنفسك."

أتخيل أنني أخبر أمي بهذا. الغضب الباهت لعينيها الزجاجيتين السوداوين؛ شظايا الأسنان المكشوفة في ضحك مرير، والثقب الفارغ في حلقها.

أذكّر نفسي بضرورة ضفيرة شعري مرة أخرى قبل نهاية المدرسة. وأقوم بتمشيط كل البتلات. لا أريد أن يمر أثر آلانا عبر العتبة. أن ألوث بالمنزل.

أقول لها: "أعرف ذلك"، وأكره نفسي قليلاً بسبب الكذبة.

أستحم أمي بقطعة قماش ناعمة. ماء دافئ في وعاء بلاستيكي قديم. صابون غسيل الأطباق وزيت شجرة الشاي، لإبعاد رائحة الصدأ. تصبح غاضبة إذا كانت قطعة القماش مبللة أكثر من اللازم، إذا لم أجففها بسرعة كافية.

أتساءل، بلا مبالاة، هل يمكنني إغراقها في هذا الوعاء.

هناك رائحة غريبة حولك.

"هل هناك؟" أمرر قطعة القماش على طول عمودها الفقري. الحافة المطوية في تجاويف فقراتها، على طول المحراب، بطريقة منهجية. أمي ليس لديها أعضاء شم؛ تتجلى رائحة جنونها المتخيلة

في الاتهام، الذي لا يمكنها إثباته أكثر مما يمكنني دحضه استغرق الأمر مني سنوات عديدة لتعلم هذا. "كنت أنظف المطبخ. ذلك المطهر الذي تحبه، برائحة السرو. إنه قوي جدًا."

أشعر بالطنين البطيء لدماغها، يهتز على طول الحبل المشدود لعنقها، جمجمتها التي تشبه قشرة البيضة. كانت لديها بشرة، ذات يوم، أو شيء من هذا القبيل؛ كانت تتساقط في بقع رثة، مثل جلد الشامواه القديم، تتعفن مع تقدم العمر والرطوبة. وتكشف عن الخزف المصفر تحتها.

أخبريني بما تعلمته في المدرسة اليوم.

أزفر، بسلاسة. لقد تدربت. "الانزياح الأحمر هو مثال على تأثير دوبلر"، أقول. "عندما يتحرك جسم بين نجمي بعيد نحونا، يبدو أكثر زرقة مما يبدو عليه عادة. هذا ما يسمى بالانزياح الأزرق. الانزياح الأحمر هو العكس – عندما يتحرك الجسم بعيدًا عنا. تتحول الألوان إلى الطرف الأحمر من الطيف، لذلك يبدو أكثر احمرارًا مما يبدو عليه عادة".

لا يبدو أن هذه المعلومات مفيدة لك.

"هذا ما هو موجود في المنهج الدراسي، يا أمي". أمشط الشعيرات المتفرقة من شعرها بفرشاة الأطفال. هذا أيضًا تضاءل على مر السنين؛ "بغض النظر عن مدى لطفي، ومدى حرصي على تمشيط ألياف النايلون، التي بهتت بفعل تقدم العمر وأشعة

الشمس، تبدو وكأنها تتساقط بثبات، مثل زهرة الربيع. ما تبقى منها بالكاد يكفي لتغطية جمجمتها.

سيكون من الأفضل أن أعلمك مهارات الحياة العملية. صيانة المنزل. المسؤولية المالية. ألا يعلمونك هذه الأشياء؟

"هذا ليس الغرض من المدرسة حقًا."

ربما كنت غير حكيمة. السماح لك بإهدار الكثير من الوقت هناك.

ينتابني شعور بالانزعاج في مؤخرة رقبتي، والشعر الناعم على معصمي. أسحب الفرشاة بقوة أكبر قليلاً؛ تتقشر ألياف الشعر المتناثرة من جمجمتها، وترفرف على ألواح الأرضية، حيث ستبقى إلى الأبد. أبيض ناصع على الورنيش القديم.

"ماذا أفعل بدلاً من ذلك؟" أسألها، وأخفي انزعاجي تحت ستار الفضول المصطنع. "لا أظن أنك ستسمحين لي بالحصول على وظيفة".

لقد أصبح هذا المنزل رثًا. أنت لا تعتني به جيدًا.

أحكمت أصابعي حول فرشاة الشعر. أنزلها برفق على الخزانة. أزيل بقايا فروة الرأس الجافة براحة يدي. "كل ما أفعله هو الاعتناء بها".

تبدو قديمة ومتعبة.

"إذن أعطني المال لإعادة تزيينها. يمكنني القيام بذلك في عطلات نهاية الأسبوع".

أنفقت ما يكفي من المال عليك.

"إنها ليست أموالك حتى. كانت ملكًا لـ-"

ترفع يدها بسرعة. وميض فضي؛ ألم حاد وزجاجي، مثل الألعاب النارية التي تنفجر تحت عيني. أمسكت وجهي غريزيًا، وأهسهس من بين أسناني. أضغط براحة يدي على الجلد المبلل الممزق.

أكملي هذه الجملة يا هيلين. انظري ماذا سيحدث لك.

تذرف عيني اليمنى الدموع. يسيل الدم الدافئ على ذقني، من خلال أصابعي المتباعدة. أتراجع إلى الخلف، بعيدًا عن مدى قدرتها على التحمل، أتعثر على قدمي، ألواح الأرضية المشوهة. تنظر إلي عيناها السوداوان بلا مبالاة باردة؛ السكاكين المسننة لأصابعها، المفصلية والشريرة والمدببة باللون القرمزي. لقد نسيت، في رضاي عن نفسي، مدى سرعتها في الحركة. كم هي وحشية.

نظفي نفسك. يا طفلة جاحدة.

صوتها أجش منخفض، منتزع من حلقها. الغضب ينبع من الزفير، منفاخ قديم يتنفس شرارات من موقد نار رمادي. رذاذ رقيق من الدم يمتد على طول الجدار. أحمر على أبيض. أوه، آلانا، أعتقد، أمسكت بقطعة القماش الرطبة، وضغطتها على خدي؛ آلانا، لقد كنت مخطئة، لقد كنت مخطئة.

في تلك الليلة، دفعت الخزانة إلى باب غرفتي. مسحت جروحي بـ TCP، وأنا أتألم من الحرق، ورائحة المستشفى الكريهة، التي تبدو وكأنها تحفر في جيوبي الأنفية، وفي الأنسجة، مثل مرض سيقتلني ذات يوم.

لن تتبعني أمي إلى هنا. لم تفعل ذلك أبدًا. لم تفعل ذلك منذ أن كنت طفلة، وكنت بحاجة إليها، بطريقة لم أكن بحاجة إليها منذ فترة طويلة الآن. أختبئ تحت البطانيات العفنة. الفراش المتدلي الذي نمت عليه لأكثر من عقد من الزمان. عش أكثر من سرير. حنين مريح.

أغفو على نبض جروحي المتواصل، ذكرى الجرح.

أحلم بأمي وهي تزحف على طول الممر، سريعة كالعنكبوت على أصابع حادة. أحلم بأمي من لحم ودم، وهي تغرغر في حوض الاستحمام. حلق مقطوع وماء دافئ، ورائحة اللافندر، وأنا صغير جدًا، بالكاد طويل بما يكفي لرؤية ما وراء حافة الحوض. خدها مضغوط على البلاط. أحمر على أبيض. أحلم بأمي وهي تقشرها، تقشير بطيء وكامل؛ سالومي المرصعة بالجواهر الحمراء،

ملفوفة وترقص في حجاب جلد أمي من لحم ودم. أحلم بعظام ملفوفة بالمخمل. في ظلمة الخزانة، حيث لا يمكن لضوء ما بعد الظهيرة أن يجدها أبدًا.

أحلم بعيون زجاجية سوداء. صوت مستخرج من أعماق بحيرة. غني بالطمي وبارد للغاية.
لا بأس. سشش. لا تبكي. سأكون أمك الآن.

أنسى أحيانًا أين تنتهي الذكريات وتبدأ الأحلام.

في وقت الغداء، تجرني آلانا إلى مراحيض الفتيات، وتزيل الشاش الملصق على خدي. تتفحص جروحي، وتخفي تجاعيدها اللامعة بأطراف أصابعها. عيناها الداكنتان متسعتان ومرعوبتان.

تقول بقلق: "لا يمكنها أن تفعل ذلك بك. أنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟ هناك قوانين ضد ذلك".

أراقبها في مرآة الحمام وهي تقيم الضرر. فكي متكئ على انحناءة راحة يدها. يداها ناعمتان. كل شيء فيها ناعم. غالبًا ما أنسى شعوري عندما يتم لمسي برفق، حتى تذكرني بذلك.

أقول: "لا أعتقد أنها تهتم بالقانون".

تتجعد حواجبها بغضب مفاجئ. تقول بغضب لم أسمعه من قبل: "أراهن أنها ستهتم إذا أتيت وخدشت وجهها حتى أصبح قذرًا.

ربما يجب على شخص ما أن يفعل ذلك. عاملها بالطريقة التي تعاملك بها. انظر كيف تحب ذلك". "تشد يدها الأخرى على كمي. أمسح مفاصلها، وأهدئها، حتى تتحرر أوتارها، صرير خفيف لألياف العضلات التي ظلت متوترة لفترة طويلة جدًا. لا أريد للغضب أن يجعلها قاسية. ليس من أجلي.

تدخل فتاة إلى المراحيض. إنها من السنة التي تلي السنة، لا تزال ترتدي الزي الرسمي. تلقي نظرة جانبية علينا، ثم تنظر بعيدًا بسرعة مرة أخرى؛ وتختفي في حجرة صغيرة بضربة مقصودة على الباب. أفتح الصنبور، رد فعل تلقائي. تتازل عن المجاملة.

"أنا آسفة،" تقول آلانا، بهدوء الآن. "ربما لا ينبغي أن أهدد والدتك."

"لا بأس." أستبدل الشاش، الملطخ بالصدأ والدم الجاف؛ ألصق الشريط الطبي مرة أخرى على وجهي، خطوط بيضاء تجري تحت عيني المنتفخة الحمراء. مثل طلاء الحرب. "أعرف كيف يبدو الأمر،" أقول. "لكنها تبذل قصارى جهدها."

"هل هي كذلك؟" تبدو مستاءة. "ولكنها لا تعرف، أليس كذلك؟ أشاهد الماء يتدفق في الحوض. حلقة الصدأ حول فتحة التصريف، حمراء على خلفية بيضاء. أمي من لحم ودم، غائبة حتى في حضورها. ذهولها الفارغ. جوع وصمت وليالي باردة، وحيدة في الظلام. على الرغم من كل عيوب أمي، فهي أم على الأقل.

بالطبع آلانا لا تعرف. لديها عائلة عادية.

"ابق في منزلي الليلة"، تقول آلانا وهي تسحب يدي إلى يدها. "أعلم أنك تقول دائمًا إنها لن تسمح لك، لكن ... هل لها أي حق؟ بعد إيذائك بهذه الطريقة ..."

أعلم أنني يجب أن أقول لا. هذا كل ما لم أرغب فيه. جر آلانا إلى عملي، حتى بهذه الطريقة البسيطة؛ لأن أمي ستلومها، وأي عقوبة أتلقاها ستكون مع آلانا في الاعتبار. جسدي بالوكالة.

أعلم أنه ينبغي لي أن أقول لا، ولكنني أريد أن أعرف. أريد أن أفهم كيف يكون شعور الإنسان العادي. كيف يكون محاطًا بالطبيعية. كيف يمتصها، ربما، مثلما يمتص النبات ضوء الشمس، ويوزعه في خلاياه الخاصة، حتى يصبح بمثابة الشمس، قليلًا.

أعتقد أنني أريد حقًا أن أعرف كيف يكون شعور الإنسان المحبوب.
لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة وطأت قدماي فيها منزلاً غير منزلي. ومن بين كل الأشياء التي كنت أتوقعها ــ كل الخيالات الحية التي استحضرتها عن الحياة الطبيعية، والتي استقيتها من الكتب ورسمتها في خيالي ــ فإن ما أذهلني أكثر من أي شيء آخر هو مدى دفء كل شيء. ضوء الشمس، والألوان، والبخور المشتعل على رف الموقد. الحركة. حرارة الفرن. أجساد تتقاسم الفضاء. وقد

اعتدت الصمت، والارتعاش في الظلام. ولم أكن أدرك حتى أنني أشعر بالبرد، حتى الآن.

"من الرائع أن أقابلك أخيرًا، هيلينا". والدة آلانا سمراء، مثلها؛ شعر أسود بري وابتسامة كاملة، مستديرة بشكل ناعم، مثل آلانا، ولكن مع التراخي اللطيف للعمر. هذا يناسبها. وسوف يناسب آلانا، ذات يوم. "كما تعلم، آلانا لا تسكت عنك أبدًا".

"أمي". تدير آلانا عينيها، بطريقة استعراضية، لكن يدها على ذراعي مطمئنة. متملك. "هيلينا ملكي، هكذا تبدو وكأنها تقول؛ إنها تبعث برسالة مفادها أنني أنتمي إلى عائلتها بأكملها، في حال نسوا أنفسهم.

"اعتبر نفسك في المنزل، يا حبيبتي." هذا بينما تسحبني آلانا إلى غرفة المعيشة، بعيدًا عن أعين أشقائها الفضولية. "العشاء سيكون جاهزًا قريبًا."

"أخبرتها أنه لا يُسمح لها بذكر عائلتك،" تقول آلانا. جلست بشكل محرج على حافة الأريكة، غير متأكدة مما يُسمح لي بلمسه. أشعر وكأنني سألوث كل شيء بطريقة ما. أسحب أصابعي الوحيدة عبر كل هذا الجمال.

"لا أمانع." أنا معتادة على الكذب، كما أعتقد؛ لقد كنت أكذب بشأن أمي لسنوات. لقد كنت أكذب عليك طوال هذا الوقت. لكن آلانا تهز رأسها فقط، بعناد. ترمي وسادة علي، لذلك كان علي

أن أتكئ إلى الخلف لأمسكها. تخدعني لأسترخي. وهذا ما أفعله، قليلاً. أغريتها بالدفء. الأضواء الخافتة. الصور على الجدران. كلهم يشبهون بعضهم البعض.

أحاول أن أتذكر أمي التي كانت في الأصل جسدًا بشريًا. قبل ذلك كانت ملطخة بالدماء، زرقاء اللون، عيناها شاحبتان بلا حياة. أحاول، لكنني لا أستطيع أن أتذكر.
بعد العشاء، تأخذني آلانا إلى غرفتها. أقف في المدخل لبرهة طويلة، حتى تنظر إليّ في حيرة؛ تطلب مني أن أدخل وأجلس، فأفعل ذلك بتصلب على حافة سريرها، حتى تتنهد، وتضع ذراعيها حولي. تضع ذقنها على كتفي، وأعرف الآن لماذا تفوح منها دائمًا رائحة البخور الخفيفة، وهي تحمل معها آثار المنزل. هل أفعل ذلك أيضًا؟ هل يلتصق الغبار ببشرتي، والزيت بشعري؛ السلك والصدأ والزجاج، غير العضوي والبارد؟

تقول: "لا أفهمك".

أشعر بالانزعاج. تشعر بذلك. تشد ذراعيها، حتى لا أتمكن من التحرر، وأضع نفسي في الزاوية، بالطريقة التي ربما كنت لأفعلها عندما وبختني أمي. نبض خدي هو تذكير بمدى خطورة غرابتي. سوف تترك ندبة، على الأرجح. حتى لا أنسى أبدًا.

"أعني فقط ... "توقفت للحظة. وقلبت الكلمات بعناية في رأسها. أعتقد أنني حيوان متوحش بالنسبة لها، في بعض الأحيان. إنها تخشى أن تخيفني، إذا قالت الشيء الخطأ، أو تحركت بشكل

حاد للغاية، وهي محقة. لقد كنت دائمًا مخلوقًا يحتاج إلى الإدارة.

(ساعديني على مساعدتك، هيلين.

لا أستطيع أن أفعل كل شيء بنفسي.

لم تُخلقني من أجل هذا.)

"لا أعرف ماذا قالت لك"، قالت آلانا، بعد فترة. "عن نفسك. أن هناك شيئًا خاطئًا فيك، أو . . . لا أعرف. أنك تستحق هذا." قالت بإبهامها، وهي تتتبع الشاش على خدي. "لكن هذا ليس صحيحًا. أنت . . . ذكية. ومثيرة للاهتمام. لم أقابل أبدًا أي شخص مثير للاهتمام مثلك."

ابتسمت، ساخرة بعض الشيء. "لأنني غريبة؟"

"حسنًا، أجل." وهي تهز كتفها. "ولكن ما السيئ في ذلك؟ أنا غريبة أيضًا."

أنظر حول غرفة آلانا. طلاء النرجس الباهت، لم يتغير منذ الطفولة. علامات لاصقة زرقاء حيث تم وضع الملصقات، تم سحبها للأسفل، وولاءاتها تتغير مع تقدم العمر. مكتب مكدس بالكتب عن الأساطير والخرافات وشعب الجن؛ الكتب المدرسية تم دفعها إلى الخلف ونسيت. كمبيوتر محمول متهالك. أعلم أنها تكتب

قصصها هناك. عن السيلكي والهولدرا والساموديفي؛ وزوجات السبي والمافكا، اللواتي أعرف القليل عنهن، باستثناء أنهن جميعًا فتيات غريبات، من نوع ما. مثلها. مثلي.

أدركت أن هذا ما كان يجب أن أحصل عليه. لم تمنعني أمي. ربما كانت ستحسدني على تكلفة لاصقة زرقاء، والطلاء. كانت لتضع حدًا للكمبيوتر المحمول، بالطريقة التي تضع بها الهاتف؛ "أن تكون متصلاً يعني أن تكون منفصلاً، كما تقول، وتسمح باتصال بالإنترنت فقط لإدارة الشؤون المالية وطلب التسوق. لكن غرفتي ملكي. لم تتجاوز هذه العتبة منذ أن كنت صغيرًا جدًا، وكانت تبكي في الليل؛ تزحف على أرجلها العنكبوتية وأصابعها التي تشبه السكين، وكنت أعتقد أن عينيها مثل النجوم، ثم صوتها أغنية.

لقد احتفظت دائمًا بغرفتي تمامًا كما تركتها أمي من لحم ودم.

أنا وألانا نستلقي على سريرها. تجذبني إليها، وتضع رأسي على صدرها؛ تلعب بشعري بينما أتطلع إلى سقفها، وأحصي النجوم الفضية الصغيرة. أتساءل عما إذا كانت تتوهج في الظلام.

"لا أكترث إذا لم يحبني أحد آخر." أسمع صوتها داخل قفصها الصدري. التضخم البطيء لرئتيها، وصوت الزفير. الإيقاع الثابت لقلبها. الأصوات البشرية. لابد أنني سمعتها من قبل، عندما كانت أمي من لحم ودم على قيد الحياة. تقول ألانا: "يمكنهم أن يقولوا ما يريدون". "لا أحتاج إليهم. ليس الآن، لقد حصلت عليك."

"أشخاص مثلك"، أقول.

"لا، هم لا يحتاجون إليهم. إنهم يعتقدون أنني غريبة. لم يكن لدي أصدقاء قبل أن أقابلك."

"ولم يكن لدي أصدقاء أيضًا."

"حسنًا إذن." إنها سهلة في عاطفتها. حرة للغاية. تعانقها والدتها بلا مبالاة؛ تتسلق شقيقاتها فوقها، وتسترخي في حضنها، وهي تداعب شعرهن، وتدفعهن بمرح. ربما كانت أمي من لحم ودم هكذا ذات يوم. لطيفة بلا تفكير. لا أتذكر. جسدي لا يتذكر ذلك.

عندما تميل آلانا ذقني بأصابعها، يكون ذلك بدون مراسم. الثقة الوقحة لشخص عرف الحب طوال حياته، يعطي بحرية كما يأخذ.

"لقد خلقنا لنكون معًا"، تقول، "أليس كذلك؟"

تقبلني كما لو أنه لن تكون هناك عواقب أبدًا. في عالمها، ربما يكون هذا صحيحًا. تقبّلني وتبتسم، فينفجر قلبي. أعتقد أن آلانا قد تنقذني. أعتقد أن آلانا قد تحبني، ربما.
أستيقظ في الليل. أذهلني صوت أنفاسها ودفئها على ظهري. أجلس منتصبًا، وقلبي ينبض بقوة في حلقي، حتى أرى النجوم

تتوهج شاحبة على السقف، ورائحة البخور في ملابس النوم المستعارة المعلقة على كتفي النحيفتين.

"هيلينا؟"

صوت آلانا. غزير النوم ومغمغم. أزفر. أنزل نفسي مرة أخرى، في بطانيات تفوح منها رائحة تشبه رائحتها. تتشابك ساقيها في ساقي. عندما تتحدث – بصوت منخفض وناعم، ولا يشبه أمي على الإطلاق – تلمس شفتاها رقبتي، وتنتصب الشعيرات الصغيرة على معصمي.

"إذن هناك هذه السموديفا، أليس كذلك؟" تقول. "إنها تستحم في الجدول مع مجموعة من الفتيات الأخريات، ويأتي هذا الراعي ويسرق ملابسهن. "أقنعته الفتيات الأخريات بإعادتهن، لكن الساموديفا أفلتت منه عن طريق الخطأ بأنها الابنة الوحيدة لأبيه، لذا أصر على الزواج منها. إنها لا تريد ذلك، لكنها لا تملك الاختيار. انظر، في هذه النسخة، حجابها هو مصدر قوتها، وبما أنه سرقه مع بقية ملابسها، فليس لديها خيار سوى طاعته."

"لذا، تتحرر الفتيات الأخريات، وتتزوجه الساموديفا. عارية تمامًا، وفقًا لبعض الروايات. يقول آخرون إنه يهديها فستانًا جديدًا لهذه المناسبة. لكن الساموديفا ذكية. عندما تذهب للرقص في حفل زفافها، تخبر زوجها الجديد أنها لا تستطيع الرقص بدون حجابها. لذلك يحضره لها. وفي اللحظة التي يفعل فيها ذلك، تطير بعيدًا. تحرر نفسها."

استلقيت في الظلام، مستمعًا إلى أنفاسها.

"أنا لست ساموديفا"، قلت بعد فترة.

"لا"، قالت، وهي تدس كاحلها خلف كاحلي. غير مبالية بامتلاكها. "ولكن لا يزال بإمكانك الطيران بعيدًا."
أعود في اليوم التالي إلى منزل مظلم. لا تزال ستائر الطابق العلوي مفتوحة. الليل يخيم، وتقلق أمي بشأن مصابيح الشارع، مقتنعة بأنها ستضيء الغرفة، حتى يتمكن الأشخاص في الشارع المقابل من النظر إليها، ورؤيتها هناك، على طاولة الزينة، ساكنة وغريبة.

أفتح الباب الأمامي. المنزل صامت. بارد. رائحة الغبار. البخور يعلق بملابسي وشعري. أعلم أن أمي ستشعر بذلك، حتى لو لم تستطع شمه. كيف يمكنني أن أشرح لها ذلك؟ إذا أخبرتها أنني قابلت صبيًا، فسوف تقتلني. إذا أخبرتها أنني قابلت فتاة، فسوف تقتلها. لا أعرف أيهما أسوأ.

أناديها بتردد: "أمي؟". أخطو إلى الرواق المظلم. ألواح أرضية قاسية. دوامة من الغبار عالقة في عمود من ضوء الشارع. أنظر إلى أعلى الدرج وهي هناك. انسكبت على حافة السلم، تروسها وأسلاكها، في فوضى متشابكة. تناثر اللون الأسود على السجادة الكريمية البالية، وتغلغل في الألياف.

ركضت إليها. أسقطت حقيبتي المدرسية في الرواق. سمعت صوتًا خافتًا يرتطم بألواح الأرضية. خرج صوت أنين خافت من حلقها الأجوف. تقليد للبكاء.

حملت أمي بين ذراعي. عظام فولاذية وشعر نايلون شاحب. لا تزن شيئًا على الإطلاق.

ظننت أنك تركتني.

كان صوتها خافتًا للغاية. همسة خام، مثل حنجرة الحزن.

"لا، أمي. لا، أنا هنا."

كنت خائفة جدًا، هيلين. ناديت عليك. لكنك لم تكوني هناك.

قمت بتمشيط شعرها براحة يدي. تجمعت دماء سوداء على السلم، تتسرب على حافة السلم. علقت ألياف بيضاء ولامعة. حزن ثقيل في صدري، وذنب حاد. ينحت الفراغ بين أضلاعي. قلبي يتألم عليها، حتى بعد كل شيء.

"أنا هنا الآن، أمي."

يبدو أنها ترتجف بين ذراعي. أرى الشق في جمجمتها، يتسرب منه زيت كثيف. لابد أنها سقطت. تحاول العثور علي. لابد أنها كانت راقدة هنا لساعات، تبكي وحدها في الظلام. يا لها من شيء

مثير للشفقة. وأكثر إثارة للشفقة، أنني كنت خائفة منها، لفترة طويلة.

أتساءل هل هذا ما شعرت به أمي من لحم ودم، وهي مستلقية في الحمام، تنزف. تراقبني وأنا أتسلل على أطراف أصابعي إلى الحمام، بعينين واسعتين، غير مدركة. الطفل الذي تركته وراءها. الاختيار الذي اتخذته. الطيران بعيدًا. لم أفهم حينها. ربما لم أكن لأفهم أبدًا، لولا آلانا.

تشد يد أمي حول ذراعي. تعض أصابعها المسطحة بشرتي ببلاهة. "السكاكين مغلّفة بالندم.

لم أقصد أبدًا أن أؤذيك، هيلين.

انقبض فكي.

"اسمي هيلينا" أقول لها، بلا غضب، فتومئ برأسها، بشكل غامض. أحملها بحذر، وأسند رقبتها في ثنية مرفقي، وكأنها مولودة حديثًا. حبات عينيها الباهتة، تحدق في السقف. أتساءل عما إذا كانت تستطيع رؤيتي. هل رأتني حقًا من قبل.

"تعالي يا أمي. دعنا نضعك في السرير."
نعم.
"ستشعرين بتحسن في الصباح."
هل سأفعل؟

متذمرة كطفلة. يتساقط الدم من جمجمتها في قطع كبيرة، ويضرب السجادة بصوت خافت. أتحرك ببطء، غير راغب في التسبب لها بمزيد من الألم، على الرغم من أن خدي ينبض مثل ذكرى سيئة. على طول الممر المترب، بلا ملامح مثل ممر المستشفى؛ "أتجاوز الحمام، غرفتي، إلى الغرفة في نهاية الصالة، حيث تقيم أمي السلكية، مثل الأم الجسدية التي سبقتها.

أفتح خزانة الملابس. يحدق بي بحر من العيون السوداء، فارغة مثل الصور الفوتوغرافية. أخبرتني أمي ذات مرة أنهم هم الذين جاءوا قبلها. إبداعات أمي الجسدية، التي انتزعت إلى الوجود؛ الاغتراب الذي تم تشكيله، والخطوط الغريبة والزوايا الشريرة، والأسلاك والمعادن والزجاج. أرى فيها الآن الخراب الذي لابد أنها شعرت به. أفواههم المشقوقة وأصابعهم المسننة. تجاويف صدورهم المفتوحة، التي تقطر لحامًا فضيًا، حيث لا يوجد قلب، ولا رئتان للاستنشاق. لا أعرف ما الذي يجعل أمي مختلفة، باستثناء أنها كانت الأخيرة.

أضع أمي برفق على رفها، وألفها بمخمل أزرق. جدتي العجوز الملفوفة. لا تستطيع أن تغمض عينيها، لذا أسحب القماش فوق وجهها، نسخة طبق الأصل فقيرة من النوم. فمها ينفتح. ارتعاشة مؤلمة في أسلاكها وهي تكافح للتحدث.

كنت خائفة جدًا.

"أعرف يا أمي."

صوتها أزيز بطيء الآن. منفاخ مكسور يتسرب منه الهواء.

لو حدث أي شيء.

لك.

أنا.

أنظر إلى يدي. راحتا يدين سوداوين زلقتان. بصمات أصابع على الباب. مثل بلاط الحمام، مخططة ومدماة. حلقها المقطوع يختفي في صمت.

هيلين، أنا.

أردت فقط.

حمايتك.

أنت.

رأسها يترنح. لا يزال تحت المخمل، في ظلام خزانة الملابس. انتظر، لكنها لم تتحدث مرة أخرى. أعتقد أنها ربما لن تفعل ذلك أبدًا. لا أشعر بالحزن، ولا بالندم. لا أشعر بالرعب الطفولي عند التفكير في عالم بدونها. لقد تجاوزت الحاجة إلى الأمهات.

في الخارج، تومض أضواء الشوارع. يتسلل الضوء الأبيض من خلال الستائر المفتوحة. وعلى الجانب الآخر من الطريق، تتحرك الظلال في النوافذ البعيدة. أفكر في آلانا. في قلبها الذي ينبض تحت أذني، وفي هسهسة رئتيها على شاطئ البحر. ونعومة يديها. أفكر في الطلاء الأصفر النرجسي، والملصقات على الجدران. في البخور والدفء. منزل حيث يسكن الحب.

"اسمي هيلينا" أقول وأنا أغلق باب الخزانة. أتجه نحو الستائر وأغلقها. لم يعد هناك ضوء في الشارع. لم تعد هناك شمس بعد الظهر. مظلمة وهادئة ونظيفة. سيكون هذا هو المنزل الذي أرادته دائمًا. متحررًا من قيود احتياجي، كما أنا متحرر من قيود احتياجها.

كم عملت بجد حتى تحبني.

ألقي نظرة على الخزانة. العلامات في الخشب، على الحائط، أصبحت ناعمة على مر السنين بسبب وزنها المتناقص. خطوط من الصدأ، أو ربما دم جاف. خيوط نايلون متشابكة في الأخاديد بين ألواح الأرضية. يصدر باب غرفة النوم صريرًا وأنا أغلقه ببطء. أدير المقبض، القفل. ملطخ باللون الأسود، مثل سجادة الهبوط. مثل يدي.

أتركها ورائي. كما فعلت أمي من قبلي. هذا أيضًا هو الحب، من نوع ما. هذا أيضًا هو الحب.

End.